أحمد عبد الغفور عطّار

وفاء اللغة العربية

بحاجات هذا العصر وكل عصر

مكة المكرمة
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

أحمد عبد الغفور عطّار



مكة المكرمة
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الطبعة الثانية

١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا البحث ألقي محاضرة في
مدينة الملك سعود العلمية بجدة في
صيف عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١م)
على جمهور كبير من رجال
الأدب والعلم والفكر والصحافة
وطلبة العلم .

- ١ -

ما اللغة الصالحة

ما اللغة الصالحة للحياة ؟

أليست اللغة التي تستطيع أن تعبر عن حاجات العصر الذي تعيش فيه تعبيراً دقيقاً وصحيحاً وسليماً ؟

أوليست اللغة التي تتسع لحضارة الانسان ونشاطه الأدبي والعقلي المتمثل في آدابه وعلومه وفنونه ؟ أليست هي التي تساير التطور وترحب بالجديد وتستطيع أن تتسع لكل حاجاته ومطالبه ؟

بلى ، هذه هي اللغة الصالحة للحياة .

هل العربية صالحة

فهل العربية لغة صالحة لأن تحيا ، وقادرة على أن تبقى ؟!

صلحت في الجاهلية

في أيام الجاهلية اتسعت اللغة لكل مطالب ذلك العصر ، ولم تضق عن أهله ، فوسعت حياتهم كلها وما يضطرب فيها من حضارات وآداب وعلوم وفنون .

وفي الاسلام

ثم جاءت حركة الاسلام المقدسة فتغير وجه التاريخ العربي والانساني ، وكانت العربية لغة الدين الجديد ، واستوعبته ووسعت كل ما جاء به ، وعبرت أصدق تعبير وأدقه عن كل صغيرة وكبيرة ، حتى كانت لغة القرآن والسنة والتشريع ، ولغة الحرب والجهاد ، ولغة المسجد والسوق ، ولغة الحضارة والمدنية ، لغة الحياة الاسلامية كلها ، ولغة العقل والقلب والشعور .

وصلحت لأعظم أمم الارض

ثم أخذ الاسلام ينتشر في أعظم أمم الأرض حضارة وعلماً وثقافة ومدنية وتقدماً ، والعربية لغته ، فإذا هي

تزاحم اللغات الأصيلة وتحل محلها ، ويرضى عنها أهلها ، ويؤثرونها على لغاتهم .

ولم يكن إيثار العربية لأنها لغة القرآن وحسب ، بل لأنها لغة تحمل في نفسها كل القوى التي تمكنها من الحياة والبقاء اللذين لم تضمنهما كتب مقدسة للغاتها إلا القرآن .

ماتت لغات الا العربية

فاللغة العبرية كانت لغة كتاب مقدس ، ولكنها لم تنتشر ولم يقبل عليها من الامم أمة ، وماتت العبرية مع أنها لغة كتاب مقدس ، وسبب موتها أنها لا تحمل بذور الحياة كالعربية ، وماتت اللاتينية وهي لغة فلسفة وأدب ودين ، وماتت لغات كثيرة .

العربية اهل للحياة

ومما لا شك عندي أن الاسلام كان سبب رواج العربية، إلا أن العربية كانت أهلاً لأن تحيا على مدى العصور ، فآثرها الناس على لغاتهم ، آثرها المسلمون لأن العربية لغة قرآنهم ولغة نبيهم .

وإذا كان مرد هذا الايثار شعوراً دينياً فليس هو وحده السبب كله ، فهناك قوم غير مسلمين وأفراد خاصموا

الاسلام اتخذوا العربية لغة فنهم وعلومهم وفلسفاتهم ، بل اتخذوها لغة خطابهم .

فإذا كان المسلمون الذين دخلوا الاسلام من العجم آثروا العربية على لغاتهم لأنها لغة القرآن والسنة ، وحموها ووضعوا لها القواعد والقوانين رغبة في صونها فإن من الأسباب أن العربية لغة سهلة مرنة ، وهي لغة المعبد والسوق ، وليست خاصة بلون أو جنس أو مهنة ، بل هي لغة ذلك كله .

مزايا العربية

وأعظم مزايا العربية أنها لغة الانسانية لأنها لغة الحياة ، فإذا كانت اللغات التي تنتمي إلى أم واحدة مع العربية لغات محلية فان العربية أثبتت أنها ليست محلية .

فهي — أولاً — لم تكن لغة خاصة لرجال الدين كلغات الكهان التي لا يفهمها غيرهم وغير تلامذتهم ، ولم تكن لغة مهنة أو صناعة خاصة ، بل كانت لغة عامة .

وهي — ثانياً — كانت لغة العلم والحضارة والمدنية لأمم عريقة فيها ، رأوا في العربية خصائص دعتهم إلى تفضيلها على لغاتهم الأصيلة ، واتخاذها لغة لهم اعتزوا بها ودافعوا عنها وحفظوها وضخموا ثروتها .

وإذا زعم زاعم أن سبب هذا التفضيل العاطفة الدينية

فان مما ينقض ذلك أن أمماً وأفراداً ليسوا مسلمين فتنوا بالعربية واتخذوها لغتهم ، بل اتخذوها لغة عباداتهم .

تأثير العربية في أعدائها

فآباء الكنيسة في اسبانيا كانوا شديدي الوطأة على الاسلام والمسلمين وحاربوهم ، ومع ذلك اتخذوا العربية فنقلوا صلواتهم وأدعيتهم من اللاتينية إلى العربية ليحسن فهمها المصلون الذين انصرفوا عن اللاتينية ومالوا عنها إلى لغة قوية حية سهلة مرنة ، ورجال الكنائس في مصر في القرن الرابع الهجري كانوا يلقون مواعظهم بالعربية لأن الشعب القبطي كان قد اتخذ العربية لغته .

وظلت العربية اللغة السائدة في اسبانيا حتى سنة ١٠١٦هـ (١٦٠٧ م) .

ووجد في اسبانيا نحو ألفي صك كتبها سكان تلك البلاد الأصليون باللغة العربية لأنهم وجدوها أصلح من لغاتهم في التعبير وأدق في الاستعمال .

معجمات اجنبية عربية

وفي مكتبة الاسكوريال معجمات يونانية عربية ومعجمات لاتينية عربية ، واسبانية عربية ، تثبت أن سكان اسبانيا

الاصليين – وفيهم الاعلياء المثقفون – آثروا اللغة العربية على لغاتهم لأنها صالحة للحياة أكثر من اللاتينية واليونانية والاسبانية .

وفي لغة التخاطب والعلم والحياة العامة كلمات عربية تدل على مدى التأثر بها .

يتركون لغتهم الى العربية

يقول « دوزي » في كتابه (الاسلام الأندلسي) : « أن أرباب الفطنـــة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها، وساء ذلك معاصراً كان على نصيب من النخوة الوطنية أوفى من نصيب معاصريه فأسف لذلك مر الأسف وكتب يقول :

«إن إخواني المسيحيين يُعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون، ولا يفعلون ذلك لإدحاضها والرد عليها بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح ، فأين اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل ، وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء ؟

« واأسفاه ! إن الجيل الناشىء من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدباً أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية ،

وإنهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان ، ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية في الوقت الذي يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الإصغاء اليها محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات ، فيا للأسى ! إن المسيحيين قد تركوا لغتهم فلن تجد فيهم اليوم واحداً في كل ألف يكتب بها خطاباً إلى صديق ، أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب » !

فهذه الشكوى المرة تؤيد ما ذهبنا اليه من صلاح العربية لأن تكون لغة فن ودين وعلم وحضارة وأدب ، لغة الحياة بكل ما فيها ولمن فيها .

العربية تزاحم اللغات

واستطاعت العربية أن تزاحم أعظم اللغات في عصر العربية الذهبي وتنزويها في الكتب ، وتكون لغة الشعب خطاباً وكتاباً ، فالفارسية لغة حضارة وأدب وعلم وفلسفة وفنون مختلفة ، ولكنها انزوت ، واللاتينية ماتت ، واليونانية ذهب ريحها ، والعبرية انتهت ، والاسبانية تضاءلت ، لأن هذه اللغات لم تكن ذوات مزايا كاللغة العربية ولا خصائص أصيلة تجعلها لغة الحياة والتطور مثل العربية .

وما دامت العربية اتسعت للدين الجديد وللحركة

الاسلامية الكبرى ولما تبع ظهور الاسلام وانتشاره من فتوح وعمران وقيام حضارات ومدنيات مختلفة وعلوم وفنون وآداب فإنها تصلح للوفاء بكل حاجات انسان هذا العصر ومطالب الحضارة الحديثة .

العربية لغة العلوم

وكلنا يعرف أن العربية في إبان نهضة الحضارة الإسلامية العربية كانت لغة الفلسفة والعلوم والآداب والفنون ، فألفت بالعربية كتب الطب والفلسفة والموسيقى والرياضيات والتاريخ والهيئة والفلك والتنجيم والسحر والبنكامات والتجارة والسياسة والاقتصاد والمالية والهندسة والجغرافية والبحرية والحرب والإلـٰهيات والتصوف والآلات والجبر والصيدلة وسائر العلوم والفنون المعروفة .

وآلاف الكتب المؤلفة في هذه العلوم برهان على أن اللغة العربية لغة صالحة كل الصلاح لنشاط العقل الانساني والشعور الانساني مهما كان نوع هذا النشاط ، ولغة تتسع لكل جديد مهما كان مصدره .

وإذا كانت العربية في أيام الجاهليـــة وصدر الاسلام عندما كان التقدم الحضاري الاسلامي والعربي في مبدأ أمره يتسع معجمهما لألفاظ تدل على الحضارة والمدنية فان ذلك دليل على صلاحها وقدرتها وشمولها ، ففي البحرية

مثلاً نجد كلمات مستعملة فيها .

وليس وجود الكلمة في المعجم الجاهلي العربي كان اسماً على غير مسمى ، بل دليلاً على أن العربية عرفت مسمياتها حق المعرفة ، ولم يكن نقلاً أو ترجمة من لغات أخرى دون أن تعرفها وتستعملها .

البحرية في المعجم العربي

ففي السفن مثلاً نجد المعجم العربي حافلاً بكلمات تدل على معرفة العربية إياها معرفة فقه وعمل ، وإذا جمع ما فيه منها كان لدينا معجم صغير .

فمن اسماء السفينة : الخلية ، وهي العظيمة من السفن ، والصلفة : السفينة الكبيرة ، والمقلعة : السفينة العظيمة ، والبارجة : سفينة القتال ، ثم الخليج والزورق والقرقور والهرهور والقارب والركوة والفلك والمصباب والمِعْبر والطوف الخ .

ومما يتصل بالسفينة أو هو جزء منها : الكوثل ، وهو سكان السفينة ، والدوقل أو الدقل (خشبة طويلة في وسط السفينة يمد عليها الشراع) .

والجلّ : شراع السفينة وكذلك الطلل والقلاع .

وحبل الشراع يسمى الكر والجمّل والقلْس .

والسقائف جمع سقيفة : لوح السفينة .

والطائق : ما بين كل خشبتين من السفينة .

والقادس : لوح من ألواحها .

وقلف السفينة : خرز ألواحها بالليف وجَعْل القار في خللها ، وهو مادة سوداء تطلى بها السفن .

والجلفطة : إدخال مُشاقة الكتان بين مسامير الألواح وخروزها ثم مسح مواضعها بالزفت والقار ، والذي يقوم بذلك يسمى الجلفاظ ، وطَلْيُ السفينة بالقار هو الدمُ تقول : دممت السفينة .

والدسر : المسامير . ومفردها : دسار .

والجمة : الموضع الذي يجتمع فيه الماء الراشح .

وشحنها : ملأها ، وجنحت : لزقت بالأرض لقلة الماء ، والقادوف والقادف : المجذاف .

ومكلأ السفينة : ما يكلؤها من الريح ، والمرفأ والميناء والثغر .

والأنجر : مرساة السفينة .

وملاح السفينة يقال له : السفّان ، ويقال للذين يؤاجرون أنفسهم من أهل السفن لحرب عدوهم : اليماسرة .

هذا نموذج أو طائفة من الكلمات البحرية مما يتصل بالسفن ، وهناك كلمات كثيرة .

ومما يظن أنه مترادف ليس كذلك ، فهناك فروق لغوية دقيقة بين اسم وآخر ، وفي وسعنا إطلاق أحد تلك الأسماء على ما لا اسم له في العربية من السفن غير المعروفة عند العرب القدامى ، أو نشتق له أسماء مما عرفته العربية .

فإذا كانت العرب أمة غير بحرية ومع هذا وضعوا مئات الكلمات لما يمخر عباب البحر وأجزائه فإن معناه أن العربية لا تضيق بالمسميات ولا تجمد أو تقف .

وقد وفق المحدثون حينما أطلقوا الغواصة والطرادة والمدمرة والنسافة على أنواع من السفن الحربية لم تكن معروفة، استعاروا لها كلمات عربية صالحة أطلقوها عليها وعرفوها بها مما يدل على أن العربية قادرة على أن تمدنا بما نحتاج اليه في كل ميدان .

المصطلحات العلمية

وفي الطب وسائر العلوم آلاف المصطلحات العلمية اتسعت لها اللغة العربية ، بل اتسعت لكل ما جاء به الدين الجديد والقرآن الكريم وعلومه الكثيرة المختلفة وقواعد اللغة والنحو والصرف والعروض وغيرها من العلوم الجديدة على العربية والعرب والمسلمين فزخر المعجم العربي بالمصطلحات الجديدة ، كما اتسع لعلوم جديدة غير معروفة عند من وضعوا اللغة .

في لغات العالم كلمات عربية

ويزيد في مكانة اللغة العربية ويثبت صلاحها للحياة ووفاءها بكل مطالب العصور التي مرت بها أن أمماً كثيرة سواء الكبيرة منها والصغيرة تأثرت بالعربية أيما تأثر ، وتأثرت اللغات البعيدة عنها والقريبة منها على السواء ، ففي لغات زنوج أمريكا كلمات عربية [١] . وذكر «دي غويه» أن في لغة الغجر (النَّوَر) عشر كلمات عربية ، وفي اللغة المالطية مئات .

وفي الاسبانية الحاضرة كلمات كثيرة بدأت بأل التعريف العربية ، وأمدت العربية اللغة الاسبانية بآلاف المفردات التي هي في حاجة اليها ولا غنى لها عنها [٢] .

وتجاوز نفوذ العربية إلى اللغات السكسونية والجرمانية الحية ، حتى اليوم كلمات عربية في اللغات الانكليزية والغالية القديمة والالمانية والهولندية والاسكندنافية والروسية والبولندية واللغات الصقلية الأخرى [٣] ، ولم تخل اللاتينية من كلمات عربية أيضاً .

ومما تدل عليه الاحصاءات الدقيقة أن ثلاثة آلاف كلمة

---

(١) العقاد : اثر الحضارة العربية في اوروبا ص ٥٣ .

(٢) مجلة المعرفة : بحث بقلم علي ظهر .

(٣) « الاسلام والحضارة العربية » لكرد علي .

عربية دخلت اللغة البرتغالية ، وربع اللغة الاسبانية الحديثة مأخوذة من العربية ، وأن تسعمائة كلمة من العربية أدخلها الفرنسيون في لغتهم ، وفي الانكليزية مثل هذا العدد [١] .

وليست العبرة بوجود آلاف الكلمات ومئاتها في مختلف اللغات في الشرق والغرب ، بل العبرة مع ذلك في « دخول تلك المفردات في الحياة الاجتماعية والمقاصد النفسية » [٢] وفي بيئات العلم ومحافل العلماء والأدباء والمفكرين .

وهذه الكلمات لم « تتمثل على الألسنة إلا بعد أن تمثلت في أحوال المعيشة ونوازع الاحساس والتفكير ، ومن هنا يعزى اليها من فعل الإيحاء والتوجيه أضعاف ما يعزى اليها من فعل النقل والتلقين » [٣] .

يتكلمون العربية ويستعملون حروفها

وهناك أمم غير عربية تكتب لغاتها بالحرف العربي أو تتكلم العربية وتتخذها لغة الكتابة ، وحتى يومنا هذا نجد العربية شائعة أو محكية في معظم أطراف السنغال والصومال ونيجيريا وكينيا ، وليبريا ، والحبشة ، وزنجبار ، وجيبوتي ،

---

(١) قاموس الالفاظ الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية ، تأليف انجلمان .

(٢) العقاد في أثر العرب .

(٣) العقاد في أثر العرب .

وقازان ، والقرم ، وكرجستان، وداغستان، وتركستان ، وأفغانستان ، وماليزيا ، وسيام ، والفلبين ، وباكستان ، والهند ، وايران ، وجاوة ، ومالطة ، والصين وغيرها [1].

وممن اتخذوا الحرف العربي لكتابة لغتهم سكان جاوة (أندونيسيا) وماليزيا وايران ، ومن يكتبون الاردية في الهند وباكستان ، وتركيا قبل الثورة الكمالية وغيرهم .

وكل ذلك يدل على أن العربية لغة وكتابة لغة قوية عظيمة ، لغة حضارة وحياة ، ولهذا استطاعت أن تؤثر في عشرات اللغات والشعوب . ولا جرم يكون للعربية هذا السلطان على اللغات ، لأن قوتها منطلقة من داخلها، لم تفرض بالقوة والجبروت ، بل اتخذتها شعوب لغتها طواعية واختياراً، حتى استحال الأمر إلى ما يشبه العقيدة في التعلق بها ، والذود عنها ، وفي تقديسها وتبجيلها .

العربية أدت رسالتها

وما أشك أبداً أن اللغة العربية أدت رسالتها في الحياة كخير ما تؤدي لغة من اللغات ، فقد وفت بحاجة كل من اتخذها لغته ، وعبرت في عصورها المختلفة عن حاجات المجتمعات التي كانت تتخذها لغة تعبر بوساطتها عن مطالبها

---

(١) الاب لامنس: ملاحظات على الالفاظ الفرنسية المشتقة من العربية .

وآلامها وآمالها وآدابها وعلومها وفنونها وعن كل ما تريد أصدق تعبير وأدقه وأشمله ، ولم تعجز قط عن تلبية الرغبات ومسايرة التطور الوثاب والطافر ، ولم تجمد في ماضيها أو تقف عن السير مع الزمن والحياة ، بل مشت مع كل مجتمع عربي ، تسمو بسموه ، وتتأخر بتأخره .

العربية لغة متطورة

وما زالت العربية حتى الآن متسعة للتعبير عن الحياة وما جدّ فيها ، ومستعدة أن تتسع أكثر من ذي قبل لكل جديد مبتكر ، ومخترع حديث ، حتى تكون كلغات العصر الحية النامية التي استوعبت الحياة بكل ما جد فيها من فنون القول والعقل والابتكار .

اللغة ظاهرة اجتماعية

واللغة ظاهرة اجتماعية لأنها وليد الاجتماع المحتوم الذي لا مفر منه ما دام الانسان مزوداً بأعضاء النطق والذاكرة ولا حاجة اليها إذا لم يكن هناك اجتماع ومجتمع ، فهي ثمرة من ثمراتهما ، بل هي أعظم ظواهر الاجتماع طراً ، وخير ثمراته ، وهي سمة الحياة الانسانية وسبب كل ما فيها من وسائل التقدم والنهوض والتطور والصلات المختلفة .

اللغة فكر وشعور

واللغة مرآة أهلها ، ففي كلماتها تكمن أخلاقهم ومشاربهم وعاداتهم وحضارتهم ونشاطهم الأدبي والفكري والروحي وكل ما في حياتهم ، وهي – بعد – تؤثر في السلوك الانساني للفرد والمجتمع ، وفي الذهن والعقل والشعور وفي الحياة بعامة .

العربية سمحة مرنة

والعربية كانت قائمة خير قيام بحاجات أهلها ، وكلما تقدم الزمن وتقدمت بهم الحياة تقدمت معهم لغتهم التي جعلت أبوابها مفتحة لكل جديد تستقبله إذا صلح لها أو كانت في حاجة اليه ، تفيد منه في الافصاح والتعبير ، وتستخدمه عند الضرورة والحاجة ، وتكثر به مفرداتها التي تعطي كل كلمة منها معنى خاصاً أو صورة خاصة أو تشير بها إلى مسمى خاص .

وإذا كان إرباء اللغة بالمترادفات مزية من مزاياها فإن المزية العظمى أن تكثر فيها المفردات ، لأن كل كلمة هي دنيا أو ذخيرة حية من ذخائر اللغة .

ومن عظمة العربية وتفردها بين اللغات أن تتفق لها كثرة المترادفات وكثرة المفردات ، وبذلك أصبحت لغة

واسعة سهلة مرنة متسامحة عند من أخذناها منهم وورثناها عنهم ، إلا أنها « جُمّدت » تجميداً منذ قرون بسبب الغيرة العمياء والتعصب الأصم ، ووقف نشاطها فلم يجر بعروقها دم جديد لأنها فقدت الغذاء ، ولم تطق أن تخطو لأن الأغلال والقيود عثّرت خطاها ومنعتها من السير الحثيث ، وعطلتها عن الحركة بعد أن كانت لغة شابة قوية دائمة الحركة والنمو.

وزدنا نحن في إخماد جذوتها وتكبيلها ، ومنعنا إمدادها بالغذاء النافع ، وأبقيناها خالية الجوف من طعام جديد .

اعلان الحرب على العربية

ولو أن لغة من اللغات أصابها ما أصاب لغتنا لفارقت الحياة ، وفي بقاء لغتنا قوية شديدة حتى اليوم برهان على أن بنيتها حية ، وخلاياها سليمة ، وصحتها جيدة ، وأن أسباب حياتها موفورة وكامنة فيها ، وليس بها أي سقم أو مرض.

ومع أن السلطان السياسي الأجنبي والاستعمار الغاشم سيطرا على الأمة العربية كلها فإنهما لم يستطيعا — برغم الجهد والمحاولات — محو العربية من الوجود ، لأنها تحمل أسباب بقائها وقوتها وحياتها ومقاومتها لكل من يريد بها سوءاً .

والاتهام الذي يوجه إلى العربية ليس اتهاماً واحداً ،

وليس أعداؤها من الشيوعيين والاستعماريين والصليبيين والشعوبيين وأجراء الاستعمار هم وحدهم المتهمين ، بل يشاركهم كثير من الناطقين بالعربية الذين يكرهونها ويعادونها لأنها لغة القرآن والاسلام ، ولأنها ليست لغة سادتهم الغربيين.

صعوبة العربية

وأعداء اللغة العربية : لغة القرآن كثيرون ، وهم أفراد وهيئات ودول وحكومات تحاربها أشد الحرب وأعنفها للقضاء عليها ، لأنها لغة الاسلام والقرآن ، والقضاء عليها قضاء عليهما ، واتخذوا للحرب عدتها ، واخترعوا لها أساليب حتى يتنكر لها أهلوها وينصرفوا عنها إلى غيرها من اللغات ، والانصراف عن لغة من قبل أهلها حكم عليها بالانزواء والضعف والفناء ، كما حدثت مع لغات انقرضت.

وأعداء اللغة العربية بثوا في العالم العربي دعايات واسعة ، وثبتوا في أذهان كثير من العرب صعوبة العربية ووعورة طريق تعلمها تنفيراً لأهلها منها ، وإيحاء لهم بهذه الفكرة الخبيثة حتى ترسخ في أذهانهم فيحملون معاول الهدم عليها أو يستخفون بها ويتركونها .

وزعموا أن العربية صعبة ، وأشاروا إلى ما يعاني

متعلموها ، وطلبوا أن نتحلل من قواعدها ، ودعوا باسم التسهيل إلى الاستغناء عن الاعراب ، بل اجترأ بعضهم ورأى اتخاذ العامية بدل الفصحى .

العلوم كلها صعبة

وهذه النقاط جديرة بالبحث ، فالعربية صعبة ، ولكنها ليست أصعب من العلوم الأخرى كالهندسة والطب والفلسفة والرياضيات وسائر العلوم .

ومع صعوبتها لم يدع أحد إلى الاستغناء عنها أو إهمالها.

وإذا كانت الصعوبة في علم أو أي شيء يدعو إلى تركه فيجب أن تترك العلوم جميعها لأنها أصعب من العربية.

ثم إن أمام من يشكون صعوبتها آلافاً غير شاكين ولا متبرمين ، فكيف نترك العربية لشكوى ضعفاء ومرضى .

إن في الدنيا مئات الملايين ما بين أطفال ورجال ونساء مرضى وممعودين لا تهضم معدهم اللحم ، أفيجب على الأصحاء أن يتركوا أكله أو يلغوه من الموائد من أجل أولئك الممعودين ؟

التخفف من القواعد

وأنا أوافق على التخفف من كثير من قواعد اللغة والأخذ

بالضرورات التي لا يستغني عنها كاتب أو قارىء ، وأرى ألا ضرورة للمطولات واختلاف مدارس النحو والأقوال المتناقضة المتروكة للراسخين .

ولا يقتضي التخفيف والتسهيل والتيسير الخروج على القواعد وإلغاءها .

الاعراب ضرورة

أما الاعراب فضرورة في اللغة العربية لأنه من خصائصها ولا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عنه ، ولا يمكن أن نطق بالحرف العربي في أي كلمة من الكلمات بدون حركة ، فهي جزء من الحرف العربي .

وليست حركة الاعراب من الصعوبة بحيث يعسر تمييزها ومعرفتها ، لأن أحداً لا يخطىء في معرفة حركة الحرف الأخير من الكلمة في حالتي الجر ، وحالات الرفع معدودات وكذلك النصب .

وإذا دعا دعاة إلغاء الاعراب ابتعاداً عن الوقوع في الخطأ فان الحركة ليست خاصة بالحرف الأخير ، ولعل الصعوبة في معرفة الحركات التي تسبق حركة الاعراب لا تقل عن صعوبة معرفتها .

فالمرة والهيئة يختلف بعضهما عن بعض بحركة الحرف

الأول من الكلمة، فتقول : جلس جِلْسة فلان (بكسر الجيم من جلسة) وجلس جَلْسة ولا فرق إلا في حركة الجيم ، إن أردت الهيئة كسرت ، أو المرة فتحت .

والثلاثي المجرد بأبوابه الستة سماعي ولا قاعدة لمعرفة العين في المضارع .

فإذا كان إلغاء الاعراب واستبدال الساكن بحركته الأصلية يقصد منهما تفادي الوقوع في الخطأ فما نحن صانعون فيما يسبق حركة الاعراب ؟ أنستبدل به السكون ؟ إن من المتعذر البدء بالحرف الساكن في لغتنا ، وكيف ننطق بثلاث سواكن ؟

وننتهي من هذا إلى أن الإعراب ضرورة ، وأن الحركة جزء من الحرف العربي المنطوق ، وإن كان الشكل غير مكتوب على الورق .

العامية والعربية

أما اتخاذ العامية لغة الكتابة والأدب والعلم فدعوى ذوي أهواء يحقدون على العربية ويريدون بها كل شر مستطير .

واتخاذ العامية بدل الفصحى إضعاف للمواهب ، وتوهين لملكة الانشاء ، بل لا يمكن أن تكون العامية لغة الكتابة والعلم ، وليجرب الدعاة .

ولعل أول محاولة رسمية للدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى التقرير الذي كتبه اللورد دفرين السياسي البريطاني ورفعه إلى وزير الخارجية البريطانية حينئذ ، وانبرى فيه للغة مصر العربية ، ورأى تدوين العلوم والمعارف والآداب باللغة العامية .

وممن رأى اتخاذ العامية بدل الفصحى المستشرق السويدي كارلو دي لندبرج الذي سمى نفسه « عمر السويدي » فقد ألقى في مؤتمر اللغويين المنعقد بمدينة ليدن بهولندا سنة ١٨٨٣ م كلمة ذهب فيها إلى ضرورة إحلال العامية محل الفصحى .

وذكر سلامة موسى في مقال له بمجلة الهلال في العدد الصادر في سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م أن قاسم أمين «نعى على اللغة الفصحى صعوبتها واقترح إلغاء الاعراب » وزعم سلامة موسى أن لطفي السيد أشار باستعمال العامية .

وهؤلاء الذين دعوا إلى العامية — غير دفرين — يكتبون بالعربية ويلقون خطبهم بها ولم يؤثر عن أحد منهم أنه كتب صفحة واحدة بالعامية .

وسلامة موسى الذي أمضى عمره في محاربة الفصحى

والدعوة إلى العامية وألف وكتب ما لو جمع لملأ مائة مجلد ضخم لم يكتب صفحة بالعامية ، ولم يخطب بها خطبة قط .

دعوة يهدمها اربابها

وأي دعوة تبرهن على فشلها واخفاقها وبطلانها من أربابها يكونون أول هداميها والمؤمنين بفسادها ، إذ لو آمنوا بها حقاً لكانوا أول معتنقيها ، ولاتخذوها لغة أقلامهم وألسنتهم الفصيحة .

ومن هنا يستبين لنا سبيل الهوى ، وأن الدعاة خصوم العربية يتهمونها زوراً وبهتاناً .

اتهام يبدو صحيحاً

وهناك اتهام يبدو صحيحاً لمن لا يدرك حقيقة العربية مؤداه أن العربية عجزت عن إيجاد أسماء لما تفتق عنه العصر الحديث من علوم ومخترعات ، وما دام هذا واقعاً غير منكور فإن العربية لا تصلح للحياة في هذا العصر .

الحق أن في العلوم والمخترعات الحديثة آلاف الكلمات والمصطلحات لا نجد في العربية ما يقابلها لأنها جديدة ، ولأننا لم نستعمل حقنا في الوضع والتعريب .

وهذا ما دفع خصوم العربية وكثيراً من محبيها المخدوعين

إلى اتهام العربية بالجدب والعقم وبأنها لغة لا تفي بحاجة إنسان هذا العصر ، وانتهوا إلى أنها لا تصلح للحياة الحاضرة.

أفصحيح هذا الاتهام ؟

العلوم والمخترعات والعربية

واقع اللغة العربية ينفيه ويبطله ، فكتاب « القانون » في الطب لابن سينا بالعربية ، وهو أضخم مؤلف في هذا العلم ، وشرحه الرازي شرحاً وافياً بالعربية .

وهناك علوم جديدة لم تكن معروفة عند العرب القدامى في عصر الجاهلية وعصر صدر الإسلام مثل الطبيعة والكيمياء والجبر والهندسة وغيرها من عشرات العلوم ، وكلها باللغة العربية ، وفيها آلاف المصطلحات العلمية .

فاذا اتسعت اللغة لها جميعاً فذلك هو الدليل على أن العربية لغة مرنة قابلة لأن تتسع كل الاتساع .

هذا في الماضي غير البعيد .

أما في العصر الحديث فقد ترجمت إلى العربية كتب في الذرة وفي الصواريخ والكواكب الصناعية والعلوم المختلفة الجديدة ، ولم تضق بهذا الجديد .

ولكن هناك عجزاً في ترجمة الجزئيات وأسماء كثير

من الآلات والأدوات ، إلا أن العربية غير مسؤولة عن هذا العجز ، بل نحن المسؤلون .

ولكن لا أتهم العربية بالعجز والقصور والعقم ، بل أتهم العرب أنفسهم ، إنهم هم العاجزون لا اللغة ، فهي لم تمتنع عن قبول أي جديد ، ولم تغلق أبوابها المفتوحة في وجهه بل بلغ من مرونتها وسماحتها أن نجد عشرات من الكلمات المعربة في القرآن الكريم .

الكلمات الاجنبية في العربية

وقد أحصى صديقنا العلامة اللغوي العظيم الدكتور رمسيس جرجس آلاف الكلمات في اللغة العربية ليست من أصل عربي ، ومنها في القرآن والحديث وآثار الجاهليين كثير .

فإذا سمحت العربية بأن تدخل في رحابها آلاف الكلمات الغريبة عنها ولم تعبس قط في وجه الغريب الذي هي في حاجة اليه ، بل أخذته وكسته من حلاها ومنحته « التبعية العربية » فذلك دليل سماحتها واتساعها وترحابها بكل ما هي في حاجة اليه .

ونحن في حاضرنا نستطيع أن نعمل ما عمله من سبقونا ممن رسموا لنا الطريق وعبدوه ومهدوه .

في وسعنا أن نعرِّب ما لا نظير له في العربية أو يعد جديداً عليها ، والعربية سترحب بيقظتنا وبإربائنا معجمه كما رحبت في ماضيها .

وإذا عرفنا نشأة العربية وتطورها في العصور العربية الحية المتقدمة نستطيع أن ندرك ما يدفع عنا الاتهام أو عنها .

العربية اصطلاح لا توقيف

اللغة العربية اصطلاح لا توقيف ، والتوقيف : ما كان من عند الله ، والاصطلاح ما تواضع عليه البشر ، واختلف العلماء في اللغة أهو توقيف أم اصطلاح ، وذهبوا في القول مذاهب شتى ، ولكل رأي ودليل ، إلا أنني أرى أن اللغة اصطلاح ، وإلا إذا كانت توقيفاً فإنها تصبح كاملة لايسوغ لمخلوق أن يضيف اليها شيئاً ، أو يستهجن منها شيئاً .

وفي العربية أكثر من عشرة آلاف كلمة في الجنس والفواحش والبذاءات ، وليس بحق أن ننسب إلى الله عز وجل هذه البذاءات التي لا تتفق مع كمال الله وجلاله .

فما دامت اللغة اصطلاحاً من صنع البشر فإن ألفاظها قابلة للحذف والزيادة والموت والبقاء .

واللغة اصطلاح لا شك فيه عندنا ، وقد اشترك في وضع كلماتها الناس حسب الحاجة والضرورة ، وفيهم

العامة والسفلة والخاصة والعلية ، وفيهم المهذب ذو الذوق الرفيع والجلف الخشن العقل .

ودليل ذلك أن في العربية آلاف الكلمات الحوشية الآبدة التي لا تتفق مع الذوق المهذب والنفس المهذبة ، وقد توارت في الكهوف المظلمة ببطون المعجمات .

الوضع اساس اللغة

فإذا أبيح الوضع لجهول وجلف ولأصناف دنية من البشر فإن من الطبيعي ألا يمنع هذا الحق عن علماء ومثقفين ، وليس التقدم في الزمن معطياً الحق كله لصاحبه ، والمتأخر بمانعه عنه .

قد يكون المتأخر خيراً من المتقدم ، مثل إمام المسجد يسبقه سواه إليه ، ولا يفضّله السبق على الإمام .

إن الوضع أساس اللغة — كل لغة — وليس له أجل معلوم ينتهي معه أو حد لا يتجاوزه بل هو يسير مع اللغة يباريها ويكمل نقصها ويمدها بكل ما هي بحاجة إليه .

والوضع من حق كل منتسب إلى اللغة سواء أكان جليلاً أم غير جليل ، عالماً أم جهولاً ، رجلاً أم امرأة ، شيخاً أم طفلاً .

ليضع كل إنسان ما يعن له من كلمات اللغة ، فليس

في ذلك خطر عليها ، والاستعمال وحده هو الذي يكتب الحياة للكلمة ، وما يغفله ينحدر إلى لحده يتوارى فيه كما حدث، في آلاف الكلمات الميتة التي لا نجدها إلا في المعجم .

نحن في حاجة إلى كلمات في الأدب والرياضة والكيمياء والطب والزراعة والصناعة وسائر العلوم والآداب والفنون، وليس في قدرة الاعلياء وحدهم من ذوي المواهب أن يضعوا لكل مسمى اسماً ، بل يباح الوضع لكل أحد ، ثم يأتي الاستعمال ليكتب الحياة لما يختاره .

ولماذا يكون الترحيب بالمعاني الجديدة ويمتنع عن التجديد في اللغة ؟

ولكن على الأعلياء أن يبحثوا في المعجمات قبل الوضع ، فقد يجدون فيه ما يصلح .

لماذا يكون الترحيب بالمعاني الجديدة ويمتنع التجديد في كلمات .

رأي في كلمات العلوم

ورأيي أن يهتم أحد المجامع بكلمات المعجم العربي ، فيعهد إلى عديد من العلماء أن يختص كل منهم بعلم أو فن فيجمع كل الألفاظ التي وضعت فيه ، مثل الطب والزراعة، يستقصي كل ما جاء فيها من كلمات ترتب ترتيباً معجمياً ،

فإذا وردتنا كلمة أجنبية في الزراعة عدنا إلى معجم الزراعة فان وفقنا لترجمتها أو لما يقابلها أو لما يصلح أن يكون بديلها في العربية أخذناه وإلا وضعنا كلمة جديدة أو عربنا الكلمة الأجنبية .

ولنا في ماضي العربية أسوة ، حيث عربت آلاف الكلمات الأجنبية مثل زنجبيل ويم وسلسبيل في القرآن الكريم.

وُضِعَتْ « الحوّامة » لطائرة « الهلكبتر » وهي من وضع بدوي في الظهران رأى الطائرة تحوم فاشتق منها الحوامة وعرّفها بها ، ورضي المجمع اللغوي بهذا الوضع واختار « الحوامة » لهذه الطائرة .

انتقال الالفاظ الى معان جديدة

وإذا رجعنا إلى ألفاظ كثيرة في اللغة العربية الأصيلة في عروبتها لوجدناها قد انتقلت مما وضعت له إلى معان جديدة لم تخطر بأذهان الواضعين .

فالمجد في الوضع الأول كان معناه أن يعلف الراعي الإبل ويشبعها ، ثم أضيف إلى المعنى الأول معان جديدة كالعز والرفعة .

والحجر اشتقوا منه معاني جديدة حتى سمي العقل حِجْراً ، والحديد وضعوا له معاني لم يضعها من وضع اللفظ.

والجديد نقيض القديم أصل معناه : المقطوع ، تقول جددت الثوب ، إذا قطعته ، ثم أطلق على الحديث ، ولعلهم نظروا في المعنى المجازي إلى أنه مقطوع حديثاً .

وإذا وقع هذا في عصور اللغة الأولى فإن من حقنا جميعاً أن نضع من الكلمات ما يلائم الذوق العربي ويتفق مع موازين العربية ومنهاجها .

فالوضع يساعد على نمو اللغة ويعين على تطورها وصلاحها لكل عصر .

التعريب ينمي اللغة

وقرين الوضع التعريب ، فهو ضرورة لكل لغة ، والتعريب : أخذ الكلمة الأعجمية ونقلها إلى العربية بحروفها أو بأكثرها أو ببعضها ، وإخضاعها لمنهاج العرب أو تركها على حالها ، مثل الراديو والتلفون ، والترجمة إيجاد ألفاظ عربية لها مثل : المذياع والهاتف .

وقد سبق أن قلت : إن في العربية آلاف الكلمات المعربة التي احتاج اليها العرب ونقلوها من لغاتها إلى لغتهم .

والكلمات التي تعد عالمية يمكن نقلها على منهج التعريب الذي لدينا .

وليس بدعاً أن نعرب ، فكل لغات العالم لا يستغنى

بعضها عن بعض ، ويأخذ بعضها من بعض ، فقد مر بنا أن اللغات العظيمة الحية وغيرها أخذت من العربية ألفاظاً ماتزال مستعملة في لغة العلم حتى الآن .

الاشتقاق ثروة

وهناك الاشتقاق ، إنه في العربية ثروة لغوية لا يماري فيها أحد ، وانه من خصائصها وسماتها التي تحسب في مزاياها ، فمادة «كتب» تعطينا بضع مئات من الكلمات ، وفي صيغة الفعل منها أربع وأربعون ومائة كلمة ، وعلى سبيل المثال نذكر ماجاء منها في الماضي وحده :

كتب	كتبا	كتبوا
كتّب	كتّبا	كتّبوا
أكتب	أكتبا	أكتبوا
كاتب	كاتبا	كاتبوا
تكاتب	تكاتبا	تكاتبوا
تكتّب	تكتّبا	تكتّبوا
استكتب	استكتبا	استكتبوا
اكتتب	اكتتبا	اكتتبوا
كتبت	كتبتا	كتبن
كتّبت	كتّبتا	كتّبن
اكتبتْ	اكتبتا	اكتبن

كاتبت	كاتبتا	كاتبن
تكاتبت	تكاتبتا	تكاتبن
تكتّبت	تكتّبتا	تكتّبن
استكتبت	استكتبتا	استكتبن
اكتتبت	اكتتبتا	اكتتبن

هذه الأفعال كلها على صيغة الماضي وهي للمذكر والمؤنث وعددها ثمانية وأربعون ، والمضارع مثلها ، والأمر كذلك .

وكل فعل ذو معنى ، ومستعمل ، وليس فيها ما هو مهمل .

والاشتقاق يساعد على إرباء المعجم العربي ، ويساعد على الوضع والتعريب والنحت ، وعلى كل ما يطور العربية ويبعد آفاقها ويوسع نطاقها .

لغة شاعرة فنانة

وخصائص العربية التي تمتاز بها تجعلها لغة شاعرة عالمة فنانة تستجيب لكل مطلب ، وتلبي كل داع ، ولا تعبس في وجه أحد يريد منها ولها الخير والحياة ، لأنها لغة سخية معطاء ..

ترحيب العربية بما في اللغات الاخرى

وإذا كانت العربية وهي في أوج مجدها سمحة ترحب بما تحتاج اليه من اللغات تأخذه منها وتدخله في رحابها فآن لنا أن نكون سمحاء ، ونجعل لغتنا العربية في هذا العصر سمحة كما كانت لا تتجهم لما هي في حاجة اليه .

تجميد لا جمود

وإن سبب « تجميد » اللغة — لا جمودها — أناس استبدت بهم الغيرة الجائرة على العربية فمنعوا إضافة الجديد اليها بوساطة التعريب والوضع وجعلوهما من حق من يحتج بلغتهم وحدهم ، ومن يحتج بلغتهم هم الجاهليون ومن جاءوا بعدهم في عصور الاحتجاج .

وبلغ بهم الخوف والتقديس إلى حد أنهم لم يخطئوا من غلط ممن يحتج بلغتهم ، وتجهموا لمن لم يكونوا في عصور الاحتجاج وسموهم « مولدين » تمييزاً لأولئك الاصلاء عن هؤلاء الساقطين في الاحتجاج بلغتهم واستعمالهم .

إنهم جمدوا اللغة العربية وهي حية نامية ، وحجروا واسعاً ، وحصروها في الحدود التي تركها عندها من يحتج بلغتهم .

وهذا سبب « التجميد » .

العربية غير جامدة ، ولكن هناك أناساً حكموا عليها بالتجميد وكانوا مخلصين ، ولكنهم كانوا خاطئين ، إنهم أشبه بمن بلغ به حب ولده إلى حد الهوس ، فحبسه في غرفة ببيته ومنعه من المجتمع خوفاً عليه حتّى أضاع عليه الحياة .

العربية صالحة للحياة وقادرة على الوفاء بكل مطالب الانسان في العصر الحديث ، وهذا يقتضينا أن نسمح لأنفسنا بالوضع والتعريب والاشتقاق والنحت ، وبذلك نجعلها تسير في ركب اللغات في مقدمة طلائعها .

دعوتي منذ ثلاثين سنة

ودعوتي إلى الاهتمام بالعربية والعناية بها ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب ، بل ترجع إلى ثلاثين سنة مضت. وأنا أدعو إلى العناية بها وتجديدها لأن ذلك ضرورة لامفر منها إذا أردنا من لغتنا أن تجيبنا على كل سؤال ، وتملأ كل فراغ نحس به في واقعنا الأدبي والعلمي ، بل في حياتنا العامة والخاصة .

واهتم بدعوتي غير أبناء وطني ، حتّى المستشرقون اهتموا بآرائي في إصلاح اللغة العربية وتجديدها وفي العامية وسلطانها .

منذ ثلاثين سنة وأكثر وأنا أنادي وأدعو ، وقد دونت بعض آرائي في « كتابي » المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ بمطبعة

أم القرى بمكة المكرمة — حرسها الله — وعنوان الكلمة المنشورة به « تجديد اللغة » ويشغل من الكتاب خمس صفحات (٤٧ — ٥١) واقتطف منه بعض ما جاء فيها بنصها الذي كتبته في تلك الأيام .

قلت : « استعمال الالفاظ التي تلائم الذوق ولا تنبو على السمع ولا تثقل على اللسان » .

و « استعمال الفصيح والاكثار منه في كتاباتنا ».

« وهي (أي الألفاظ) في تجديدها خاضعة لنواميس الحياة ككل شيء ، قابلة للتغيير والتجديد ، تتأثر بالمحيط والوسط والسياسة والاجتماع والتقدم » .

و « في اختيار الالفاظ ذوق خاص لكل أمة ، تصطفي ما يناسبها ، وتمج ما تستثقله وتكرهه منها » .

و « أهم واجب يؤدونه للعربية وهو وضع الألفاظ وضعاً جديداً، وإيجادها من جهة الاشتقاق أو زيادة حرف أو حذف أو وصل الكلمة بسابقة أو لاحقة ، وان تساير الحياة العصرية بكل ما فيها من علم وفن ومعنى وشكل ، ومخترعات وصناعات ، وأن تشمل المسميات كل حاجات العصر » .

و « العربية أكثر اللغات عدداً في الألفاظ ، وأنها تتعدى الملايين ، ومع هذه الثروة الضخمة نقف مكتوفي الأيدي

لا نبدي نشاطاً ولا نظهر قوة حتى نجعل هذا العدد الهائل من الالفاظ يتناول جميع أغراض الحياة » .

و « لو قدر لأحد الادباء — وكثيراً ما قدر — زيارة المدن الغربية وولج دور المتاحف والآثار ، وشاهد بها أنواع الحيوانات الكبيرة والدنيئة وصنوف النباتات المتنوعة ، وضروب المعادن ، ومسميات الاعضاء المختلفة ، والعلوم، والمعارف ، وقصد أن ينقل لأبناء جنسه ما في تلك الامة من حضارة وأدب بواسطة الالفاظ ، ماذا يفعل ؟ ألا يرى نفسه منعقد اللسان قاصر التعبير ؟ يرى كل شيء على ضوء الحياة الحرة ثم لا يسعه التعبير إلا بالاشارة والكيف والوصف».

و « أيغني أن نقول : العربية واسعة غزيرة المادة ، ومن غزارتها جعلت للسيف الف اسم ، وللبعير خمسمائة ، وللقط مائة ، وما يزيد عن خمسمائة لليث ، ولا يغني كل ذلك شيئاً ، بل من الخزي أن ندعي هذا ونحن عاجزون عن صوغ وخلق ألفاظ لمبتكرات الحياة » .

قلت هذا سنة ١٣٥٢ هـ ونشرتـــه في « كتابي » سنة ١٣٥٤ هـ ولكن ، ماذا صنعنا نحن للغة القرآن والسنة ؟

الحق لا شيء !

العاجزون نحن لا اللغة

وكما قلت منذ أكثر من ثلاثين سنة : « نحن عاجزون »

أترانا نستمرىء العجز فنقيد خطى لغتنا أكثر مما قيدنا ؟

وفي الوقت الذي تجهر في العـالم العربي والإسلامي أصوات أفراد ينادون بحماية الفصحى وتأييدها ونصرها ، ترتفع أصوات جماعات وتنبعث صيحات من وسائل الاعلام والنشر في كل بلد عربي ضد الفصحى ، حتى انقلب الامتياز فيها سبة ، وصار صاحبه متهماً بأنه لا يتفاعل مع الشعب العربي .

وأي سبة تجلل الشعب أبشع من أن يكون عامياً ، ويبقى في السفح لا يتطلع إلى القمة، بل يحارب من يعيش حتى ينزله أو يقضي عليه .

قوى جبارة تحارب العربية

وإذا كنا نجاهد لنجعل الفصحى لغـة القلم واللسان ونعطيها حقها من السيادة، ونكون لها عوناً حتى تصلح للوفاء بمطالب العصر الحاضر كما صلحت في العصور السابقة ومنها عصور ذهبية ساطعة ، وإذا كنا نعمل لنعيد إلى العربيـة سلطانها ونفيد من كنوزها المذخورة وذخائرها المكنونة فإن ما نعمله إنما هو جهد أفراد تضعفه الحرب المشنونة من قبل دول وهيئات وأفراد وقوى يملكون كل وسائل التدمير .

ولشد ما يبعث على الأسى أن نستبدل الذي هـو أدنى بالذي هو خير وأبقى .

ان العربية قوية ونامية وصالحة كُل الصلاح، ومع هذا ينبري عرب يحاربون العربية ، ويطلبون أن نستبدل بها العامية لأنها لغة الشعب .

العربية جامعة الشعوب

ان العربية هي التي تجمع العرب والمسلمين ، لأن كل مسلم مفروض عليه أن يقرأ بعض آي الذكر الحكيم ، فلسانه ينطق بالعربية .

والوحدة اللغويـــة هي الجامعـــة الكبرى بعد جامعـــة الإسلام ، فإذا أهملناها واستبدلنا بها العامية فقد قضينا على الوحدة العربية ، لأن كل إقليم عربي يصبح محدوداً بالحدود السياسية وكل أقطار العربية تتبعثر لغوياً وعقلياً ووجدانياً كما بعثرتها السياسة التي قضت على عزة المسلمين وسلطان العرب.

بعثرتها السياسة ، ولكن اللغة العربية جمعتها ، فـــإذا قضينا عليها تحقق حلم أعدائنا الشرير .

الاستعمار يحارب العربية

كنا من قبل نحارب الاستعمار الغربي مخلصين حـــتى دحرناه فلم يتمكن من حطم لغتنا ، بل انبرى منا مجاهدون أئمة حموا الفصحى وردوا عنها عدوان الاستعمار الغربي .

الصهيونية والشيوعية تحاربان العربية

أمـــا اليوم ، فلم يعد الاستعمار الغربي وحده — برغم قواه — هو الذي يحارب لغتنا ، بل انضمت اليه الصهيونية والشيوعية .

وأشد الأعداء فتكاً بالعربيـــة هي الشيوعية ، فقبل ان تفتح أبواب العالم العربي لم يكن خصوم العربية إلا آحـــاداً ضعافاً فاقدي المنة والنصير ، أمـــا بعد أن تجولت في ربوع العربية تجول الطمأنينة والأمن زاد جيش محاربي العربية ، وكثرت أسلحة الحرب .

بل انتهوا إلى وزارات التعليم والمعـــارف في كثير من البلدان العربيـــة وسيطروا عليهـــا وجعلوا علوم العربية والإسلام رمزاً للايهام والتضليل والتغطية ، فلم نجد أئمـــة جدداً في اللغة .

دعاة العامية هدامون

ولو نجحت دعوة أعداء الفصحى وكتب كـــل قطر بعاميته لوجب أن نتعلمها حتى نفهمها كما نتعلم الانجليزية أو العبرية ، بل العبرية أقرب نسباً إلى العربية من بعض هذه العاميات .

وعلى سبيل المثال اذكر كلمات من عامية العراق ندر من

يفهم معانيها من أبناء المملكة العربية ، ومن هذه الكلمات العامية العراقية :

نَفْنوف لثوب المرأة
إسْكَملي للكرسي
تعْروزي للخيار
دشْداشة للثوب
قَنْطور للصوان (دولاب الملابس)
تِقِلّقْ لنوع من الحذاء (الشبشب)
خاولة للمنشفة
تِمّنْ للأرز

من منا يعرف مدلول هذه الكامات ؟

حتى التراكيب – تراكيب الجمل – في العامية العراقية والجزائرية مثلاً لا نفهم معانيها .

شذوذ الدعوة الى العامية

وهؤلاء الدعاة إلى العامية يجهلون أو يتجاهلون أن اللغة هي الفكر ، ولولا اللغة لما كان هناك فكر ، وتقدم اللغة دليل على تقدم الفكر الإنساني ، وتأخره على تأخره .

ولماذا يشذ العرب عن هذه الدعوات الهدامة ؟

أنحن وحدنا الألى نملك لغة ؟ أليس لدى غيرنا لغات

كما لدينا ؟ فلماذا نشذ نحن وحدنا عنهم بهذه الدعوات المقيتة الباطلة ؟

إن كل أمة لديها لغتان : فصحى وعامية ، وأوجه الخلاف في ذلك أن تتقارب اللغتان أو تتباعد .

وفي الوقت الذي بدأت العامية تقترب من الفصحى نهض دعاة العامية تؤيدهم قوى شريرة ماحقة ، ولكنهم لن ينتصروا ما دام هذا القرآن باقياً ، وما دامت العربية تتبطن قوى وخصائص وقدرات تذود عنها قذائف الأعداء وتمكن لها في عالمنا العربي .

مسؤولية حكومتنا تجاه العربية

وأنصح في موقفي هذا حكومتنا التي تتفرع منها كل وزاراتنا أن تهتم بالعربية وتحمل رايتها وتحفظها وتؤيدها ، وتمكن لها ، وتتبادر إلى العمل الجاد المثمر لتكون العربية كما هي صالحة لزماننا كما كانت صالحة في عصورها الماضية .

وهذا يشجعني على أن أطلب إلى الحكومة انشاء المجمع اللغوي السعودي ،وتحشد فيه الغُيُر على لغة القرآن الراسخين في علومها وآدابها حتى يحرسوا العربية ويدعوا اليها وينشروها لأنها اللغة التي اختارها الله دون اللغات جميعاً لتكون أداة كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكانت لغة خير خلقه ، وتبياناً لدينه الذي ارتضاه لعباده

ونخلص من كل ما سبق من القول إلى أن اللغة تحمل في صميمها وأعماقها أسباب حياتها وبقائها ، وهي من الثراء الذي لا حد له تستطيع أن تعطي في سخاء واريحية كل ما يُطلب منها في كل زمن، وكل واجبنا أن نلتقيها ونساجلها الشعور ونتبادل معها الخير ، فهي لم تعجز قط ولن تعجز أن تفي بمطالب انسان هذا العصر في أي مجال ، وفي كل ميدان سواء أكان هذا الانسان يمشي على الأرض أم يعربد بين خدور الكواكب والنجوم .

وما دامت العربية كذلك فإن صلاحها لكل زمان ولكل مجتمع ثابت بدليل ماضيها المشرق الذي اتسعت فيه للحياة والحضارة اتساعاً شاملاً .

وما دامت العربية اتسعت هذا الاتساع الشامل في الماضي فهي لا تضيق في الحاضر والمستقبل لكل جديد .

ولا يتوهمن أحد صدق دعاوى أعداء العربية وتهمهم التي يلصقونها بها، ومنها : أنها لا تفي بحاجات هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم والآداب والفنون والحضارة ، وأنها تعجز عن ايجاد أسماء للمسميات الحديثة .

ويجب ألا نختدع بمزاعم أعداء العربية وبما يستدلون به على صمتها حين يستدلون بخلو العربية من المصطلحات العلمية

الجديدة، ومن أسماء المسميات المبتكرة في الحضارة الحديثة .

حقاً إن العربية خالية من هذه الأسماء والمصطلحات ، وليس خلوها لسبب فيها ، وإنما السبب أهل العربية الذين تخلفوا فتخلفت لغتهم .

وعندما استيقظ أهل العربية وجدوها يقظة ، وعندما طلبوا إليها أن تسعفهم بالمصطلحات وبأسماء المسميات الجديدة أجابتهم إلى ما طلبوا إليها ، واحتشد في معجمها الحديث آلاف المصطلحات والأسماء .

واتهامها من قبل أعدائها أو من قبل بعض أهلها ممن تبعوا أولئك الأعداء إتهام ثبت بطلانه ، لأن خلو العربية من المصطلحات وأسماء المسميات الحديثة لم يكن بسبب عقمها بل كانت لغير هذا السبب ، فالحاجة لم تكن داعية إلى ذلك فخلت ، فلما دعت الحاجة لبّت العربية .

واللغة الانجليزية التي يضرب بها المثل في الحيوية والمرونة والشمول والقدرة على استيعاب كل جديد مبتكر كانت قبل خمسين عاماً خالية من آلاف المصطلحات من علوم الذرة والصواريخ والأقمار ومراكب الفضاء التي صعدت إلى القمر وإلى بعض الكواكب ، ولم تتهم بالعقم والتخلف والجمود لخلوها من هذه المصطلحات وأسماء المسميات الحديثة .

فالأمم المتقدمة التي تتخذ الانجليزية لغتها لم تصل إلى

تفجير الذرة والأقمار الصناعية والمراكب الفضائية وغيرها من علوم الفضاء من علوم ما بعد الحرب العظمى الثانية ، ولهذا خلا معجمها من هذه الأسماء والمصطلحات ، فاما حذقوا هذه العلوم اضطروا إلى وضع أسماء لما جدّ لديهم .

وكذلك العربية ، مثلها مثل الانجليزية وغيرها من اللغات الحديثة الحية ، فالعصر الجاهلي لم يكن معجم لغته يحوي آلاف المصطلحات والأسماء الاسلامية التي جاء بها الاسلام أو التي جدت بعده ، وليس خلو معجم العربية في العصر الجاهلي من هذا الجديد لعجز العربية وعقمها ، بل سببه أن الحاجة لم تدع عرب الجاهلية إلى إيجاد مصطلحات ووضع ألفاظ لمسميات لما هو غير معروف ، فلما جاء الاسلام بما جاء به من المصطلحات والعلوم اتسعت العربية لكل هذا الجديد الكثير الذي لا يحصى .

ولم يكن معجم العربية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر خلفائه الراشدين يحوي مصطلحات العلوم الاسلامية والعربية التي عرفت بعدهم ، لأن عصرهم لم يعرف هذه العلوم ، فهم لم يضعوا ما ليس بموجود ولا معروف .

وأهل كل لغة يضعون أسماء لما يعرفون ولما هم في حاجة إليه ، وليسوا بمكلفين أن يسبقوا الزمن فيضعوا أسماء لما سيأتي به المستقبل المجهول .

وعندما دعت حاجة المسلمين في عهد عمر بن الخطاب

إلى مصطلحات جديدة كانت العربية مطواعاً تلبي الحاجة .

ولا شك أن تجربة الاسلام للعربية كانت امتحاناً غاية في العسر . فقد أشرق الاسلام على الدنيا بكل ما هو جديد في العقيدة والشريعة والآداب والعلوم والفنون والاجتماع والسلوك والأخلاق ، وهذا الجديد لم تكن العربية تعرفه ، إذ لا عهد لها به ، بل لا عهد للدنيا به ، فقد قلب الدين الجديد كل أوضاع العرب والأمم غير العربية التي دخلت في الاسلام ، وكانت العربية لغة هذا الدين الجديد الذي أشرق على الأرض بكل جديد لا عهد لها به من قبل ، فاتخذ مصطلحات جديدة تعد بالآلاف انتزعها من العربية ،ووضع لآلاف الألفاظ معاني جديدة غلبت على معانيها الأصيلة مثل القرآن والسنة والحديث والشهادة والصوم والصلاة والزكاة والحج والعمرة والاسلام والايمان والاحسان .

واتساع اللغة العربية للدين الجديد كله واستيعابها إياه استيعاباً تاماً وشاملاً لكل معانيه ومسمياته هو البرهان على صلاحها لكل جديد في كل زمان وفي كل مجتمع .

ويزيد هذا البرهان سطعاً وقوة التجربة العمرية : تجربة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استحدث في الاسلام الدواوين والإدارات والاحصاء والتدوين والتاريخ مما لا عهد للعربية والعرب به ، فلم تجمد العربية ، بل اتسعت لهذه التجربة الجديدة اتساعاً شاملاً ، مع أن عملاً كهذا يعد

امتحاناً عسيراً لأي لغة في جميع العصور .

ونجحت العربية في هذا الامتحان نجاحها الباهر في امتحان الاسلام إياها ، والتجربة العمرية برهان جديد على مرونة العربية وسماحتها وخصبها واتساعها لكل جديد ، واستعدادها الدائم لتلبية كل ما يطلب إليها .

ثم جاءت تجارب العلوم الاسلامية من فقه وتوحيد ومصطلح ، وتجارب العلوم العربية من نحو وصرف وعروض وبيان وبديع وبلاغة ولغة ، فكانت العربية مستعدة لكل هذه العلوم الجديدة .

وعلوم العربية جديدة كل الجدة ابتكرها العرب المسلمون ابتكاراً ، ابتداء على غير مثال سابق ، وإذا العربية تتقبل هذه العلوم ، وتمد مبتكريها بكل ما احتاجوا اليه من ألفاظ لمصطلحاتهم ، وأسماء لمسمياتهم .

وهذا برهان على حيوية العربية وصلاحها لكل زمان ومكان ، يضاف إلى البراهين السابقة .

ثم جاءت تجارب النقل والترجمة لعلوم الهند وفارس واليونان والرومان ، وتجارب التأليف في علوم جديدة لا عهد للعرب والعربية بها كالكيمياء والطبيعة والفيزيا ، والهندسة والميكانيك والرياضيات والفلك والحساب والجبر والجغرافيا والطب والبصريات والمعادن والتربة والزراعة والأرصاد والاقتصاد والتجارة والسياسة والحكم والمهن الكثيرة ،

فلم تضق العربية بكل هذا الحشد الحاشد من العلوم والآداب والفنون ، بل اتسعت له اتساعاً لا حدّ له .

وكل هذه التجارب التي مرت بالعربية منذ العصر الجاهلي أثبتت مرونة العربية وسماحتها وخصبها وقدرتها القادرة على استيعاب كل العلوم والآداب والفنون استيعاباً تاماً وشاملاً .

وإذا كان عرب الجاهلية قد استطاعوا احداث أسماء لمسميات كانت جديدة عليهم ، إما عن طريق الوضع أو التعريب فإن من جاءوا بعدهم لم يفقدوا هذه الاستطاعة كما رأينا ، فقد استطاعوا أن يضعوا ألفاظاً جديدة ومصطلحات حديثة ، وأن يعرّبوا ويترجموا ويشتقوا وينحتوا .

لقد فوجئت اللغة العربية في العصر العباسي بحضارات فارس والهند والروم واليونان ومصر وبعلوم وفنون كثيرة زحفت إليها زحفاً دفعة واحدة فلم تنزو ولم تجمد ولم تعجز بل استقبلت كل ذلك ووسعته حتى كانت أعظم لغة في العالم كله .

وبلغ من تفرد العربية وثقة الأمم العظيمة المتحضرة أنها استبدلت العربية بلغاتها الأصيلة التي لم يكن في طوقتها أن تتسع لكل أغراضهم ، وتفي بكل حاجاتهم ، فاتخذوا العربية بديلاً عن لغاتهم ، لأن العربية وفت بكل حاجاتهم ومطالبهم وفاء تاماً .

وبذلك كله أثبتت العربية أنها مطواع دائماً ، فما طُلِبَ إليها شيء إلا أجابت في سهولة ويسر ، ودون ابطاء .

فاذا ظُن بها — اليوم — قصور فذلك الظن وهم مبين ، لأن العربية لغة الحياة والحضارة التي تتسع دائماً لكل ما يراد منها ، فاذا خلت من المصطلحات والاسماء التي جاءت بها حضارة الغرب فمرد ذلك إلى تخلف العرب وليس لغتهم ، فلما شاركوا في الحضارة أخذوا يضعون المصطلحات والأسماء للمسميات الحديثة .

واللغة التي اتسعت في كل عصورها لكل جديد ومبتكر لا يمكن أن تتهم بالتخلف أو العقم في هذا العصر .

وما أوحى به أعداء العربية إلى العرب بأن العربية صعبة وجامدة ومتخلفة وقاصرة وعاجزة وعقيمة حتى صدق بعض العرب ما أوحي إليهم به من قبل أعدائهم إنما هو افتراء على لغة القرآن الصالحة لكل زمان ومكان .

وكل دعاوى أعداء العربية مردودة عليهم ، لأن العربية لغة حية ومرنة وقوية وخصبة ، وتحمل في نفسها خصائص التقدم والبقاء وكل عناصر الحياة وأسبابها ، والدليل صلاحها لكل العصور ، ووفاؤها بكل المطالب والحاجات .

أما في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فقد كان العرب ضعافاً متخلفين جهلة مستعمرين ، وفقدت لغتهم العزة بفقد أهلها إياها ، فلما استيقظوا وتحرروا واستقلوا ونهضوا أعطتهم العربية بأريحية وسخاء ، وسايرت

يقظتهم ونهضتهم ، واستوعبت كل حاجات هذه النهضة ، وأخذ العلماء واللغويون يضعون المصطلحات الجديدة والأسماء للمسميات الحديثة .

فاتهام العربية من قبل أعدائها اتهام باطل ، يكشف بطلانه واقع العربية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر.

وخلو لغة حية خصبة من المصطلحات والأسماء الجديدة لا يدل على عقمها ، فاللغة الانجليزية لم تتهم بالعقم لأنها كانت قبل خمسين سنة خلواً من الأسماء والمصطلحات العلمية والفنية والصناعية والتكنولوجية التي انبثقت من تطور العلوم والحضارة بعد الحرب الأولى ، بل كانت خالية من آلاف الكلمات رفدها بها تطور الحياة والعلوم بعد الحرب الثانية .

فالانجليزية لم تتهم بالعقم ، وكذلك العربية لا تتهم به ، فعندما بدأت وثبة الحضارة الحديثة وطفرتها كانت شعوب العربية في تأخر وانحطاط وجمود بسبب الاستعمار الغربي الذي قضى على عزة العرب ، وأوحى إليهم بصعوبة العربية ، وعسر قواعدها ، وفقدانها الحياة حتى يقضي على العربية طمعاً في القضاء على الاسلام .

والعربية على نقيض ما زعم أعداؤها ، فهي لغة القدرة القادرة والحياة المتدفقة والنشاط والحركة والقوة ، وليست جامدة ولا قاصرة ولا عقيمة ، وليست قواعدها بعسيرة ، وليست هي نفسها بصعبة ، ولكن كل ذلك من إيحاء أولئك

الاعداء أرادوا أن يكرّهوها إلى أهلها حتى يستبدلوا بها العامية أو الانجليزية ، وحينئذ يفقد العرب إلى الأبد كل مقوماتهم ، وبذلك يفقدون عروبتهم فيفقدوا حياتهم وتراثهم ودينهم .

وهذا ما يريده أعداؤهم ، ولهذا شمل مخططهم قذائف هدم العربية ، منها : قذائف إلغاء الأعراب ، وقذائف اتخاذ العامية بدل الفصحى ، وقذائف اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي ، إلى قذائف أخرى مدمرة .

ولو أن لغة غير العربية كانت هدفاً لبعض تلك القذائف لتهدم صرحها ، ولكن العربية صارعت كل قوى الهدم المدمرة التي تحاربها وصرعتها ، وهذا من براهين قوتها التي لا تغلب .

فالعربية أعظم اللغات طراً ، وليس في أي لغة خصائص اللغة العربية : لغة القرآن التي كتب الله لها أن تحيا وتخلد أبد الدهر ، لأنها لغة القرآن الخالد ، ولغة الإنسانية لأنها لغة الاسلام دين الانسانية ، فهي خالدة بخلود القرآن والاسلام .